اشتغال الإمام بحوائج المسلمين بعد الإقامة

اشتغاله عليه السلام بذلك

أخرج عبد الرزاق عن أسامة بن عمير رضي الله عنه قال: **كانت الصلاة تقامُ فيكلّم الرَّجُلُ النّبيَّ ﷺ في حاجة تكونُ له، فيقوم بينه وبين القبلة فما يزالُ قائماً يكلّمه فربّما رأيتَ بعضَ القوم ينعسُ من طول قيام النبيّ ﷺ.** كذا في الكنز (٤/ ٢٣٤). وأخرجه عبد الرزاق أيضاً وأبو الشيخ في الأذان عن أنس رضي الله عنه مثله، كما في الكنز (٤/ ٢٧٣). وعند ابن عساكر عن أنس: **أنّ الصّلاة كانت تقام بعشاء الآخرة فيقوم النبيُّ ﷺ مَعَ الرَّجُلِ يكلّمُه حتى يَرْقُدَ طوائف من الصحابة ثم ينتبهون إلى الصّلاة.** كذا في الكنز (٤/ ٢٧٣).

وأخرج أبو الشيخ في الأذان عن عروة قال: **كانَ النبيُّ ﷺ بعدما يقيم المؤذّن ويسكتون يكلّم في الحاجة فيقضيها. قال:** وقال أنس بن مالك: **وكان له عُودٌ يَسْتَمْسِكُ عليه،** كذا في الكنز (٤/ ٢٧٣). وأخرج البخاري في الأدب المفرد (ص ٤٣) عن أنس قال: **كان النبيُّ ﷺ رحيماً وكان لا يأتيه أحَدٌ إلاّ وَعَدَهُ وأنْجَزَ له إنْ كانَ عِنْدَهُ، وأقيمت الصّلاةُ وجاءه أعرابيٌ فأخذَ بثوبه فقال: إنما بقي من حاجتي يسيرة وأخاف أنساها، فقام معه حتى فرغ من حاجته ثم أقبلَ فَصَلّى.**

اشتغال عمر وعثمان في ذلك

وأخرج أبو الربيع الزّهراني عن أبي عثمان النّهْديّ قال: **إنْ كانت الصّلاة لَتُقامُ، فيعرضُ لعمر رضي الله عنه الرجل فيكلّمه، حتى ربّما جلس بعضنا من طول القيام،** كذا في الكنز (٤/ ٢٣٠). وأخرج ابن حَبّان عن موسى بن طلحة قال: **سمعتُ عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو على المنبر والمؤذن يقيمُ الصّلاة، وهو يستخبر الناس عن أخبارهم وأشعارهم،** كذا في الكنز (٤/ ٢٣٤). وأخرجه ابن سعد (٣/ ٥٩) عن موسى نحوه، وقد تقدّم في تسوية الصفوف عن أبي سهيل بن مالك عن أبيه قال: **كنتُ مع عثمان فأقيمت الصّلاةُ وأنا أكلّمه** ـ الحديث.

الإمامة والاقتداء في عهد النبيّ ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم

قول أبي سفيان في طاعة الصحابة للنبي عليه السلام حينما رآهم يصلون

أخرج ابن أبي شيبة عن عكرمة، فذكر الحديث بطوله في صُلْح الحديبية وفتح مكة،

وفيه: فقال له: «يا أبا سُفيانَ أسلِمْ تَسْلَم» فأسلم أبو سفيان رضي الله عنه وذهبَ به العباس رضي الله عنه إلى منزله، فلما أَضبَحُوا ثارَ النَّاسُ لطُهورهم، فقال أبو سفيان: يا أبا الفضل ما للناسِ؟ أمروا بشيءٍ؟ قال: لا، ولكنَّهم قاموا إلى الصَّلاة، فأمره العباس فَتَوَضَّأ ثم ذهبَ به إلى رسول الله ﷺ، فلما دخلَ رسول الله ﷺ الصلاة كَبَّرَ فكبَّرَ الناسُ، ثم ركع وركعوا، ثم رفع فرفعوا، فقال أبو سفيان: ما رأيتُ كاليوم طاعة قَوْمٍ جمعهم من ههنا ومن ههنا، ولا فارس الأكارم ولا الروم ذات القرون[1] بأطوع منهم له، قال أبو سفيان: يا أبا الفضل، أَصْبَحَ ابنُ أخِيكَ عَظِيمَ الملكِ، فقال له العباس: إنَّهُ ليسَ بِمُلْكٍ ولكنَّها نُبُوَّة. كذا في الكنز (٥/ ٣٠٠). وعند الطبراني في الصغير والكبير عن ميمونة رضي الله عنها فذكرت الحديث في غزوة الفتح وفيه: وقامَ رسولُ الله ﷺ يتوضأ وابتدرَ المسلمونَ وضوءه يَنْتَضِحُونَه[2] في وجوههم، فقال أبو سفيان: يا أبا الفضلِ لقد أَصْبَحَ ملكُ ابنِ أخِيكَ عظيماً، فقال: ليسَ بِمُلْكٍ ولكنها النُّبُوَّة، وفي ذلك يرغبون، قال الهيثمي (٦/ ١٦٤): وفيه يحيى بن سليمان بن نَضْلة وهو ضعيف. وقال ابن كثير في البداية (٤/ ٢٩١) وذكر عروةُ: أنَّ أبا سفيان لما أصبحَ صبيحةَ تلكَ الليلةِ التي كانَ عندَ العباس، ورأى الناس يجنحون للصلاة وينتشرون في استعمال الطهارة؛ خافَ وقال للعباس: ما بالهم؟ قال: إنهم سمعوا النداء فهم ينتشرون للصَّلاةِ، فلما حَضَرَتِ الصَّلاةُ ورآهم يركعونَ بركوعه وَيَسْجدُونَ بسجوده قال: يا عباسُ ما يأمرهم بشيء إلا فعلوه؟ قال: نعم، والله لو أَمَرَهُمْ بتركِ الطَّعام والشراب لأطاعوه. انتهى.

صلاة المسلمين خلف أبي بكر بأمر النبي عليه السلام

وقد تقدَّم في رغبة النبيّ ﷺ في الصَّلاة في حديث عائشة رضي الله عنها عند أحمد وغيره: فأرسلَ رسولُ الله ﷺ إلى أبي بكر رضي الله عنه بأنْ يُصَلِّي بالناس، وكان أبو بكر رجلاً رقيقاً، فقال: يا عمر صلِّ بالناس، فقال: أنتَ أحقُّ بذلك، فصلَّى بهم تلك الأيام؛ وفي حديثها عند البخاري: فقال: «مُرُوا أبا بكرٍ فَلْيُصَلِّ بالنَّاسِ» فقيل له: إنَّ أبا بكر رجل أَسِيفٌ[3]، إذا قام مقامَكَ لم يَسْتَطِع أنْ يُصَلِّي بالنَّاسِ، وأعادَ فأعادُوا لَهُ فأعاد الثالثة فقال: «إنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُف، مُرُوا أبا بكرٍ فَلْيُصَلِّ بالنَّاسِ».

وأخرج أحمد عن عبد الله بن زَمْعة رضي الله عنه قال: لما استعزَّ[4] برسول الله ﷺ

(١) «القرون»: الشعور، وكلّ ضفيرة من ضفائر الشعر قرن. «النهاية» (٤/ ٥١).
(٢) «ينتضحونه»: يرشونه.
(٣) «أسيف»: أي سريع البكاء والحزن.
(٤) «استعزّ»: أي اشتدّ به المرض وأشرف على الموت. «النهاية» (٣/ ٢٢٨).

وأنا عنده في نفر من المسلمين دعا بلال رضي الله عنه للصلاة، فقال: «مُرُوا مَنْ يُصَلِّي بالنَّاسِ» قال: فخرجت فإذا عمر رضي الله عنه في الناس، وكان أبو بكر رضي الله عنه غائباً، فقلت: قم يا عمر فصلِّ بالناس، قال: فقام فلما كبَّر عمر سمع رسول الله ﷺ صوته ـ وكان عمر رجلاً مجهراً[1] ـ فقال رسول الله: «فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون!! يأبى الله ذلك والمسلمون!! قال: فبعث إلى أبي بكر فجاء بعدما صلى عمر تلك الصلاة فصلى بالناس، وقال عبد الله بن زمعة قال لي عمر: ويحك!! ماذا صنعت يا ابن زمعة؟ والله ما ظننت حين أمرتني إلا أنَّ رسول الله أمرني بذلك! لولا ذلك ما صليت، قال: قلتُ: والله ما أمرني رسولُ الله، ولكن حين لم أر أبا بكر رأيتك أحقَّ من حضر بالصلاة» وهكذا رواه أبو داود، كما في البداية (٥/ ٢٣٢). قلت: وهكذا أخرجه الحاكم (٣/ ٦٤١) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرّجاه. وعند أبي داود كما في البداية (٥/ ٢٣٢) في هذا الحديث قال: لما سمع النبيُّ ﷺ صوت عمر قال ابن زمعة: خرج النبيُّ ﷺ حتى أطْلَع رأسه من حجرته ثم قال: «لا، لا، لا يُصَلِّي للنَّاسِ إلا ابْنُ أبي قحافة». يقول ذلك مغضباً. وقد تقدَّمَ في تقديم الصَّحابة أبا بكر رضي الله عنه في الخلافة قول أبي عبيدة رضي الله عنه: ما كنت لأتقدَّم بين يدَي رجل أمره رسول الله ﷺ أن يؤمّنا فأمّنا حتى مات، وقول عليّ والزبير رضي الله عنهما: إنّا نرى أبا بكر أحقَّ الناس بها بعد رسول الله ﷺ، إنَّهُ لصاحبُ الغارِ، وثاني اثْنَيْنِ، وإنّا لَنَعْرِفُ شَرَفَهُ وَكِبَرَهُ، ولقد أَمَرَهُ رسول الله ﷺ بالصَّلاةِ بالناس وهو حيٌّ.

قول عمر وعلي في إمامة أبي بكر رضي الله عنهم

وأخرج النسائيّ عن ابن مسعود رضي الله عنه: لما قُبِضَ النبيُّ ﷺ قالتِ الأنصارُ: منّا أميرٌ وَمِنْكُمْ أميرٌ، فأتاهم عمرُ رضي الله عنه فقال: ألستم تعلمون أنَّ النبيَّ ﷺ قد أمَرَ أبا بكر رضي الله عنه أن يُصَلِّيَ بالناس؟ فأيّكم تطيبُ نفسه أن يتقدَّم أبا بكر؟ فقالوا. نعوذُ باللهِ أنْ نَتَقَدَّم أبا بكر. كذا في جمع الفوائد (٢/ ٢٠٦)، وذكر في منتخب الكنز (٤/ ٣٥٤) عن علي رضي الله عنه قال: لقد أمَرَ النبيّ ﷺ أبا بكر أنْ يُصَلِّي بالناس وإني لشاهدٌ وما أنا بغائب وما بي مرض، فرضينا لدنيانا ما رضي به النبيّ ﷺ لِدِيننا.

قول سلمان الفارسي في إمامة العرب

وأخرج أبو نعيم في الحلية (١/ ١٨٩) عن أبي ليلى الكندي قال: أقبلَ سلمان رضي

(١) «مُجهراً»: أي صاحب جهر ورفع لصوته.

الله عنه في ثلاثة عشر راكباً ـ أو اثني عشر راكباً ـ من أصحاب محمد ﷺ، فلما حَضَرَتِ الصَّلاة قالوا: تقدّم يا أبا عبد الله. قال: إنا لا نَؤُمُّكُمْ ولا ننكحُ نساءكم، إنَّ اللّهَ تعالى هدانا بكم، قال: فتقدّمَ رجلٌ من القوم فَصَلّى أربعَ ركعات فلما سَلَّمَ قال سلمانُ: ما لنا وللمربِّعة، إنما كان يكفينا نصف المربعة، ونحن إلى الرخصة أحْوَجُ؛ قال عبد الرزاق: يعني في السفر، وأخرجه الطبراني في الكبير وأبو ليلى ضعفه ابن معين، كما قال الهيثمي (٢/١٥٦).

اقتداء الصحابة رضي الله عنهم بالموالي

وأخرج عبد الرزاق عن أبي قَتَادَة رضي الله عنه: أنّ أبا سعيد مولى بني أسِيد رضي الله عنه صنع طعاماً، ثم دعا أبا ذرّ وحذيفة وابن مسعود ـ رضي الله عنهم فحضرت الصّلاة فتقدم أبو ذر ليصلّي بهم، فقال له حذيفة: وراءَكَ، ربُّ البيتِ أحقُّ بالإمامة، فقال له أبو ذرّ: كذلك يا ابنَ مسعود؟ قال: نعم، فتأخّر أبو ذرّ؛ قال أبو سعيد: فقدّموني وأنا مملوكٌ فأممتهم. وعنده أيضاً عن نافع قال: أُقِيمَتِ الصّلاةُ في مسجد بطائفة المدينة، ولعبد الله بن عمر رضي الله عنهما هناك أرض، وإمام ذلك المسجد مولى، فجاء ابنُ عمر يشهد الصلاة، فقال المولى: تقدّم فَصَلِّ، فقال ابن عمر: أنتَ أحَقُّ أنْ تُصَلِّي في مَسْجِدِكَ، فَصَلّى المولى. كذا في الكنز (٤/٢٤٦ و٢٤٧). وأخرج البزار عن عبد الله بن حنظلة رضي الله عنه قال: كُنّا في منزل قيس بن سَعْدِ بن عبادة رضي الله عنهما ومعنا ناسٌ من أصحاب النبيِّ ﷺ، فقلنا له: تَقَدَّم، فقالَ: ما كُنْتُ لأَفْعَلَ، فقالَ عبد الله بن حنظلة: قالَ رسولُ الله ﷺ: «الرَّجُلُ أحقُّ بِصَدْرِ فراشِهِ وَأَحَقُّ بصدر دابَّتِهِ، وأحقُّ أنْ يَؤُمَّ في بَيْتِهِ» فأمر مولى له فتقدّم فصلّى، وأخرجه الطبراني في الأوسط والكبير؛ قال الهيثمي (٢/٦٥): وفيه إسحاق بن يحيى بن طلحة ضعّفه وأحمد وابن معين والبخاري ووثّقه يعقوب بن شيبة وابن حبان.

صلاة ابن مسعود خلف أبي موسى في بيته

وأخرج أحمد عن علقمة: أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أتى أبا موسى الأشعريّ رضي الله عنه في منزله، فحضرت الصّلاة، فقال أبو موسى: تقدّم يا أبا عبد الرحمن فإنّك أقْدَمُ سِنّاً وأعلم، قال: بل أنتَ تَقَدَّمْ؛ فإنما أتيتاكَ في منزلك ومسجدكَ فأنْتَ أحَقُّ؛ قال: فتقدّم أبو موسى فخلَعَ نَعْلَيْهِ، فَلما سَلَّمَ قال له: ما أردتَ إلى خَلْعِهِمَا؟ أبالوادي المقدّس أنتَ؟ قال الهيثمي (٢/٦٦): رواه أحمد وفيه رجلٌ لم يُسَمَّ، ورواه الطبراني متصلاً برجالٍ ثقات ـ انتهى: وأخرجه الطبراني عن إبراهيم مختصراً ورجاله رجال الصحيح كما قال